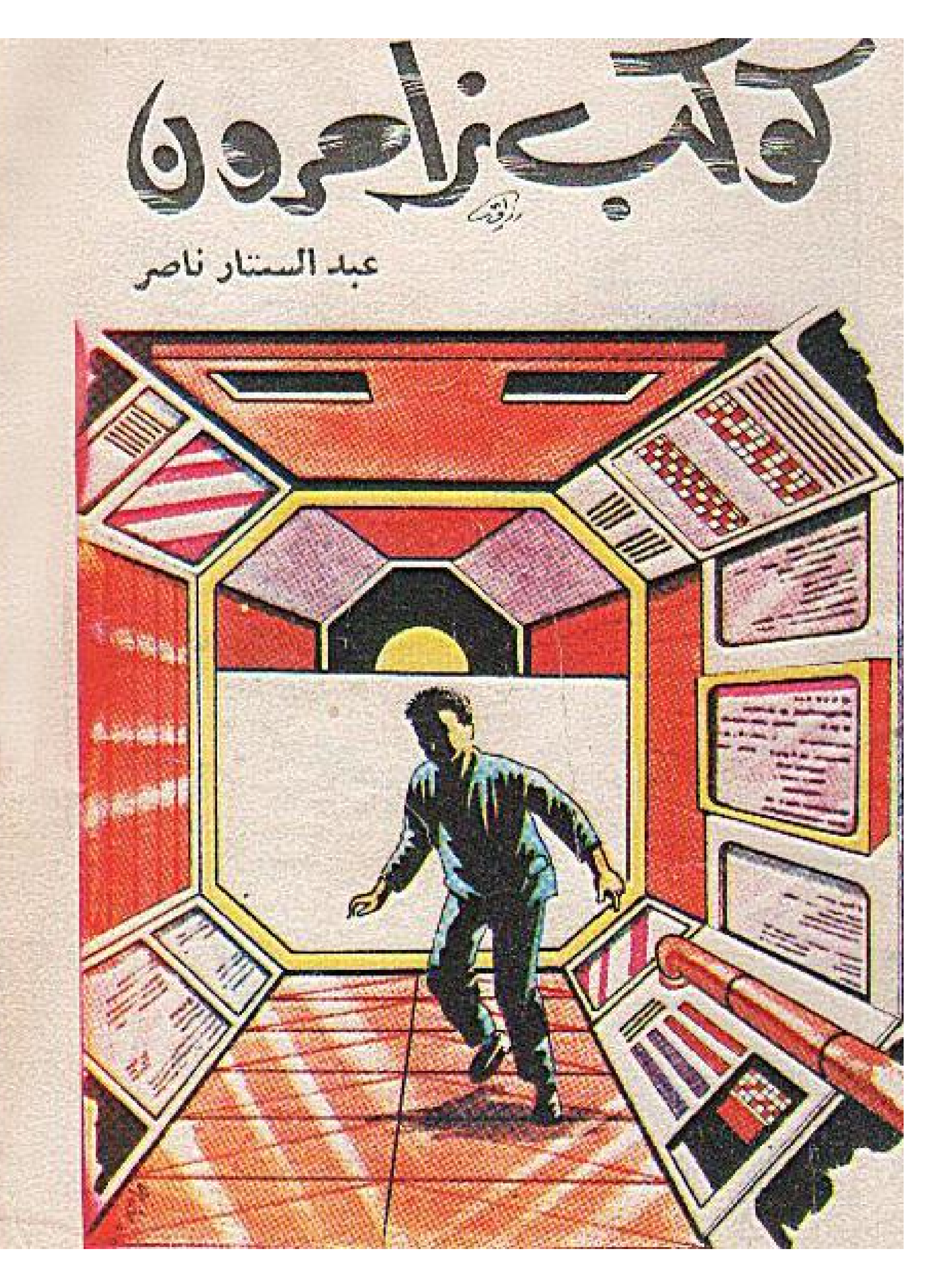
٣٧

كوكب زامرون

عبدالستار ناصر



الفصـل الاول

عندما ذهبت الى فراشـــي ، في ليلة من ليالـــي الصيف ، كان شقيقي (ياسر) ينام على مقربة مني ، وكنا ـ سوية ـ نحدق في السماء والنجوم المتناثرةهنا وهناك ، كنت أحب الصيف ـ رغم حرارته ـ لاننا في لياليه الطويلة ننام فوق السطوح نشاهد السحب السود ونحلم بالمستقبل والغرائب التي تمر في طول وعـرض هذا الكون الشاسع .

بعد منتصف الليل ، نظرت الى (ياسر) وقلت له :

ـ لماذا بقيت ساهرا حتى الان ؟ لقد نام أبي وأمي

الطبعة الاولى ١٩٨٧

واختي وداد ، وأنت وحدك ـ مثلي ـ ما زلت تحدق في السماء !

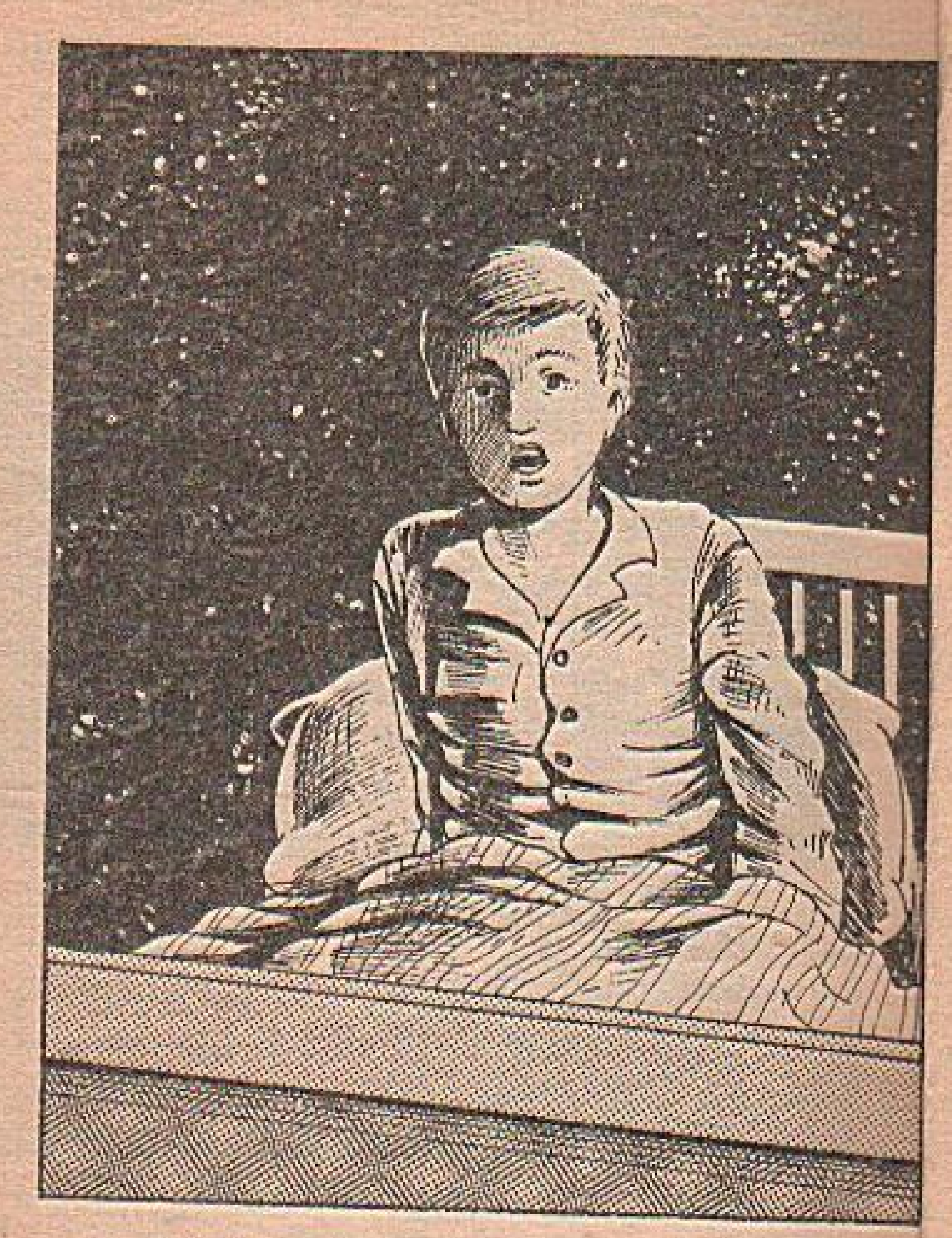
قال ياسر وهو يبتسم ببراءة :

ـ لا أشعر بالنعاس ، أنا مثلك يا (طارق) أحب السماء الزرقاء والنجوم ، وافكر دائما بهذا الكـــون البعيد ·· هذا العالم أمره عجيب ولا نكاد نعرف الا القليل جدا من اسراره وعجائبه ·

ابتسمت بشيء من الفرح ، أن ما يقوله (ياسر) على جانب من الذكاء ، وهو الصغير الذي ما زال في العاشرة من عمره ، ينطق بهذه الكلمات الكبيرة مثل عجوز في الستين من العمر ! حاولت أن أغفو وأنام ، حتى ينام (ياسر) من بعدي ، لكنني لم أستطع النوم حقا، بـل تمكنت من غلـق جفـوني حتى يتوهـم (ياسـر) انني غفـوت ، لكننـي بعـد مـا يقـرب مـن نصف ساعة فتحت عيني ـ من خلف أصابعي ـ وتمنيت أن أرى شقيقي (ياسر) وقد نام نوما هادئا ·· ولكن ، ما أن نظرت الى سرير أخي حتى رأيته خاليا تماما··· قلت في ذات نفسي : ربما ذهب الى المرافق ، أو ربما ذهب ـكعادتهـ حتى ينام قرب ابي · لكنني لم اعثر عليه في المرافق ولم أجد له اثرا قرب سرير والدي!

* * *

شعرت بشيء من الخوف ، أنا أحب (ياسر)وليس لي أي صديق سواه ، فهو شقيقي وصديقي في وقت



ولكن ما ان نظرت الى سرير اختي حتى رأيته خالياً تماما

واحد .. ولست أدري كيف أختفى بهذه السرعة !

نزلت السلالم في عز الليل ، وأصبحت ـ بعد قليل ـ داخل المنزل ، ليس من ضوء في البيت كله ، لكنني أعرف الممرات والزوايا دون الحاجـــة الى أي ضوء ، كنت أهمس بصوت مسموع :

ـ ياسر ، أين أنت ؟ ياسر .. أين ذهبت ؟

لكن الوقت يمر بلا جـــواب وبلا حركة وبلا أي شيء يشير الى وجود ياسر ، لذلك قررت ايقاظ أبي حتى يتصرف في هذه المشكلة الغريبة ، لكنني حيـن صعدت السلالم خطف أمام عيني ضوء باهر وصـوت يشبه صرير باب عتيق ، نظرت الى الضوء وهو يصعد بسرعة رهيبة الى أعلى السماء ، حاولت أن أحددشكل هذا الشيء الذي أراه ، لكن الضوء كان اكبر مـــن حجمه ، وما أن ابتعد فوق السحب السود حتى تمكنت أن أرى شيئا يشبه طائرة بلا أجنحة ، أو هو شيء أقرب الى البالون أو المنطاد ، ولكن على هيئة بيضة كبيرة ، ولست أدري ـ حتى الان ـ لماذا شعرت ـ فجاة ـ أن هذا الشيء الكبير المخيف هو الذي اختطـف اخـــي (ياسر) !

رغم كل هذا لم تستيقظ أمي من نومها ، ولـــم يتحرك جسد أبي ، رغم النور القوي والصوت الخاطف الذي يشبه ازيز باب آلي الى السقوط ..

اقتربت من سرير أبي ، وفكرت : ماذا أقـــول لهم ؟ ان هذه المصيبة أكبر من قدرة امي على الصبر وهي فاجعة قاتلة بالنسبة لهذا الشيخ المســـكين ..



نظرت الى الضوء وهو يصعد بسرعة رهيبة الى أعلى السماء

* * *

لم يصدق أبي كل ما رويته عن الضوء الباهر ، وعن الشيء الذي يشبه طائرة بلا أجنحة ·· بل توهم انني أهذي أو أحلم ، وان (ياسر) ربما سقط الى أرض الزقاق ، فقد كان احد جدران السطح قديما ومأكولا ·· وسرعان ما راح أبي ينزل السلالم مثل غزال مطارد ، حتى يرى بنفسه ما جرى ·

أما امي فقد أصابها الهلع والشلل مرة واحـدة ، وبقيت جالسة في مكانها لا تعرف ما تفعل سوى النظر الى السماء ·· لكن أبي عاد بعد قليل ، يمشي ببـطء وهدوء وهو يسألني من جديد عن كل كلمة قلتها وعن كل شيء رأيته ·· وما كان مني سوى تكرار القـــول عشرات المرات ، بينما راح أبي يهز رأسه دون جدوى ·

كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، أو هي الثالثة صباحا ، هذا يعني ان (ياسر) تم اختطافه في الثانية ليلا ·· أي قبل ساعة واحدة فقط ، وكان من الممكن أخذي بدلا عنه ، لماذا أخذوه وهو الصغير الذي لا يكاد يصبر على مثل هذه البلوى أو على هذه المفاجاة المرعبة ؟

ثم ، أين تراها وقفت هذه الطائرة العملاقة التي لا أجنحة لها ؟ ومتى وكيف فتحت أبوابها ، وكيف تم لهم سرقة (ياسر) وانا لم اكن نائما ، انما حاولت خداع (ياسر) حتى ينام ؟

الاف الافكار والاســئلة تمر على رأسـي دون جواب ، ولم يكن أمامنا في تلك الساعة سوى التطلع الى السماء الشاسعة الممتدة أمام أبصارنا من المجهول حتى المجهول ·· نحاول ان نصل إلى قرار أو فكـرة أو عمل نقوم به من أجل ياسر ، هذا الطفل العزيز الذي لا ندري أين رحل ، لكننا – مثل تماثيل من الشـمع – كنا نجلس على فراشنا وننظر الى النجوم والمذنبــات والنيازك والشهب البعيدة لعل نجمة واحدة من هـذه النجوم تعطينا الجواب الحقيقي على رحيل (ياسـر) او يتكرم علينا نيزك من هذه النيازك ويخبرنا عن مكان هذا الصغير الذي اختفى بأسرع من لمح البصر !

* * *

انتظرنا طوال اليوم التالي ، أن يرجع (ياسر) بطريقة أو بأخرى ، لكن النهار مر حزينا قاسيا باكيا ، أراد أبي الذهاب الى الشرطـة وأخبارهم عـن اختفاء (ياسر) لكنه تردد اكثر من مرة ، خوفا من أن تتعقد الامور اكثر مما هي الان ، لكن ، أمي – بعد أن استغفرت الله وطلبت الرحمة منه – صارت في حال أحسن وهي تقول :

– لابـد أن نخبـر الشرطـة بمـا جـرى ، ربما يساعدوننا في معرفة ماجرى ، كما أن اختفاء انسان في ظروف غريبة وغامضة كهذه لابد أن تعرف بها الشرطة ثم راحت تولول على ياسر وتبكي بحرقة · وهكذا ذهبنا – أنا وأبي – الى أقـرب مركز شرطـة ، لكنني ما أن ذكرت لهم ماجرى ليلة امس وحكيت لهم عن البالون

العملاق الذي رأيت ذيله المنير ، حتى راح الجميع يضحكون مني بصوت عال .. ولم يصدقني أي واحد منهم ، بل سمعت المفوض الشاب يقول :

ـ هذا الصغير خيالي جدا ، لابد انه كثير الذهاب الى السينما وقراءة القصص الخرافية .

ثم قال بهدوء وهو ينظر الى وجه ابي :

ـ سنبحث عن ابنك (ياسر) وان شاء الله سنعثر عليه بعد أن نوزع صورته على بقية مراكز الشرطة .

وقبل أن نرجع الى البيت سألنا مفوض الشرطة:

ـ هل لكم عداوات مع أحد في المنطقة ؟ وهل هناك من يريد بكم شرا من الأقرباء أو المعارف ؟ يعني باختصار هل تشكون في أحد ؟هذه مسألة مهمة جدا..

قال أبي قبل أن يستمر المفوض في كلامه :

ـ نحن عائلة مسالمة ، نحب الناس ولايكرهنا احد والحمد لله ، ولا أعتقد أن في المحلة كلها من يفكر في حرق قلوبنا على أبني (ياسر) .

* * *

ثم رجعنا الى البيت ، وجلسنا قرب أمي التي راحت تقرأ القرآن وتصلي داعية الله أن يعود (ياسر) بأسرع وقت وهو بصحة جيدة .. أما انا فقد صعدت الى سطح المنزل في عز الظهيرة أبحث عن اثر او دليل او اشارة مهما كانت صغيرة ترشدني الى مكان أخي (ياسر) أو تجعلني أعرف بعض ماجرى .

لكنني بدل العثور على أثر أو دليل أو أشارة تأخذني الى (ياسر) الحبيب عثرت على ياسر نفسه وهو يمد يديه يريد احتضاني وهو يبكي بدموع نقية ! ولم أستطع التغلب على عواطفي وسعادتي ودهشتي ، فصرخت ملء حنجرتي علىأمي وأبي،وأنا اقول انياسر قد عاد الى البيت ، عندها راح أبي وأمي يصعدان السلالم بفرح غامر ـ كأنهما في العشرين من العمر ـ بينما ذهبت الى شقيقي ياسر أريد احتضانه فوق صدري وأنا أصرخ فرحا :

ـ اين ذهبت أيها الشقي ؟

لكنني ما أن أقتربت من (ياسر) حتى اختفى من المكان الذي كان واقفا فيه ! وفزعت مما حدث ، كان أبي قد وصل سطح المنزل ، ثم جاءت بعده أمي ، ولما رأوني وحدي ، صرخ أبي مثل مجنون :

ـ اين ياسر ؟ أين ياسر ياطارق ؟

كانت أمي تسألني السؤال نفسه وهي تمسكني من كتفي ، لكنهما صارا يرقبان وجهي والذعر الذي كان مرسوما ومحفورا عليه ، فشعر أبي ان شيئا خطيرا قد جرى ، أقترب مني وسألني بحب كبير :

ـ أخبرنا يا طارق ، ماذا رأيت وماذا جرى ؟

وعندها حاولت أن أمسك أعصابي وأنا أحكي لهما كيف أنني رأيت (ياسر) بعيني ، وكيف أنه كان يبكي بدموع جميلة نقية،وكيف انه كان يمد يديه نحوي.. بل كدت أقول لهما أنني سمعت ـ حتى ـ صوته وهو يناديني بأسمي ..

صار أبي يفكر بهـذه القضيـة المعقدة ، بذكاء عظيم وصبر أعظم ، ولم يعد يفزع من أختفاء (ياسر) بل صار يفكر كيف أختفى ولماذا وأين ذهب ·· بل قال لي وهو يحدق في وجه أمي :

ـ ياسر بخير أنا واثق ان ياسر بخير ··

ثم سكت قليلا ، وقال كمن يبكي :

ـ سوف يرجع الينا اليوم أو غدا ، أو بعديومين فقط ·

سألت أبي بشيء من الدهشة الممزوجة بالخوف:

ـ لماذا تقول هذا الكلام ياأبي ؟ ماذا يدور في رأسك عن أختفاء (ياسر) ؟

قال أبي :

ستعرف الحقيقة في وقت قريب · المهم ألا نحزن الآن ·

ولست أدري ، لماذا شعرت بالراحة والاطمأنينة حين سمعت أبي يقول كلاما كهذا ، بل ان أمي ـ وهي الحزينة المذعورة ـ مدت يديها نحو السماء وهي تقول (يا رب) ·

* * *

في الليل ، قررت النوم في المكان الذي ظهر فيه (ياسـر) فقد كنت علـى يقين أن شيئا سيحدث هذه الليلة أيضا ، ربما يعود (ياسر) وأستطيع أن أمسكه بيدي حتـى يصدق أبي أن ماقلته صباح اليـوم كان صحيحا ·· وربما تمـر هـذه الطائرة الغريبة التي تشبه المنطاد وأرى ماتفعل ·· المهم أن اكون في هذه

فيها مرة ثانية أمام وجهي ·

لـم أستطع النوم حتى الساعة الواحدة ليلا ، ذهبت الى أبي ، وكـان صاحيا مثلي ، وكذلك أمي ،

سألني أبي :

ـ حاول أن تنام ياطارق ، سيعود (ياسر) أن شاء الله ، وأنا سأنام أيضا ·

ذهبت الى فراشي ، كنت أنظر الى الساعة بين دقيقـة وأخرى ، أنا متأكد أن ياسر كان قد أختفى في الثانية بعد منتصف الليل وأن هـذا الشيء المنير الباهر قـد يظهر من جديد أو يعود بشقيقي الـى البيـت·· مـن يدري ، ربما اكون على خطأ وربما كنت أحلم برجوع (ياسر) ·· لكنني غفوت قليلا وأنا مازلت افكر بهذه السماء الشاسعة الغريبة التيأخذت اخي الى بطونها··



حتى شعرت بجسدي يتحرك دون إرادتي

الفصل الثاني

ماأن غفوت بعد وقت قصير ، حتى شعرت بجسدي يتحرك دون أرادتي ، ويصعد الى فوق كما لو أن مغناطيسا يسحبني الى مكان لاأعرفه ، وبعد أقل من نصف دقيقة غمرني ضوء ساطع ورأيت نفسي داخل قاعة مضيئة مزدحمة بالأزرار الكهربائية والخطوط الحمراء المتعاكسة مع خطوط سوداء وأخرى بنفسجية!

لم يكن احد في تلك القاعة سوى شاشة أكبر من شاشة التلفزيون تعطي صورة متشابكة مع خطوط بالألوان نفسها : الأحمر ، الاسود ، البنفسجي .

وكانت القاعة من أرضها الى سقفها الى جدرانها ملونة بهذه الألوان الثلاثة فقط .

* * *

هذا المكان قبل سنين أو شهور طوال ، لم أكن أعرف ماأفعل ، ليس من مكان أجلس فيه ، رغم أنني لاأشعر بالتعب، انها قاعة خالية تماما، لا أدري الى متى سيطول بي المقام هنا وماذا سيحدث لي .. فتحت فمي وأنـا افكر أن أقول « هل ثمة احد هنا ؟ » لكنني قبل النطق بهذه الكلمات ، رأيت الشاشة تتغير بخطوطها وتقول لي :

- أصبر ياطارق ، بعد قليل ستعرف كل شيء .

بقيت واقفا ، أنتظر بلا معنى ، لكن الخوف بدأ يتسرب الى قلبي ، بينما الشاشة رجعت تقول لي :

- لا تخف يا طارق ، أصبر قليلا ، لن يؤذيك احـد انك أمان وسلام .

كيف ينطقون أسمي ؟ من اين لهم معرفة أفكاري قبل النطق بها ؟أي عالم غريب دخلت فيه ؟ من أي شيء مصنوع هذا المكان اللغز الغامض العجيب ؟ فـي تلك الدقيقة رفعت صوتي حتى أقول لهم « من انتم ؟ لـمَ أتيتم بي الى هنا ؟ ولماذا انا دون بقية خلق الله » ؟ لكن الشاشة - كعادتها - أجابت عني قبل أن أسأل كل هذه الأسئلة :

- ياك من عجول ، أصبر قليلا ، الا تعرف معنى كلمة الصبر ؟ ستعرف من نحن ولماذا جئنا بك الـى هنا ولماذا أنت دون بقية البشر . ولكن أصبر ياطارق، وهذا اخر انذار لك ، أسكت وانتظر .

كان الصوت على جانب من القسوة ، ولم يكن

امامي غير الصبر لئلا يغضبون مني ، عندها من يدري ماذا سيفعلون بي ؟

* * *

بعد قليل ، رأيت على الشاشة رأس رجل لايشبه رؤوس ابناء الارض ، مساماته من حديد أو شيء يشبه الحـديد ، جبهته عريضة وعاليـة وفمه مجـرد خط مفتوح بلا شفاه ، واذنيه اكبـر ثلاث مرات عـن اذن البشر . أما العيون فهـي الشيء الوحيد الذي يبعث الطمأنينة ويجعلك تشعر بالراحـة .. لست ادري ان كان فوق راسه شعر كثيف أو شعـر خفيف أو بدون شعر ، فهو يلبس قبعة من نسيج بنفسجي محاط باللون الأسود ، والأحمر مثل كل شيء في هذا المكان العجيب!

ماأن ظهر هذا الوجه على الشاشة حتى قال لي:

- أهلا بك ياطارق الى سفينة « ساروف » ستكون في ضيافتنا مدة لاتزيد علـى يومين ونريد أن نخبرك أن (ياسر) معنا وسوف يعود الى منزلكم بعد قليل ..

صرخت عاليا :

- أريد أن أرى ياسر ، انا مشتاق اليه كثيرا .. أين ياسر ؟

وقبل أن أقول لهم « أرجوكم دعوني أراه » كان شقيقي ياسر قد ظهر الى جانبي وهو يبتسم ابتسامته العذبة التي أحبها .. وقبل أن أمد يدي اليه قال الرأس الذي ظهر على الشاشة :

- لاتمسكه الآن ياطارق ، فهـو تحت التجارب

الضوئية ، وهي خطر عليك حتى تمر بها غدا أو بعد غد .

قلت بدهشة وذعر واستنكار :

ـ وهل تؤذيه تجاربكم الضوئية هذه ؟ انه مازال صغيرا كما ترون ، خذوني الى هذه التجارب بدلا عن أخي ياسر ..

أبتسم الرأس على الشاشة ، ابتسـامة حديديـة لاحياة فيها وقال :

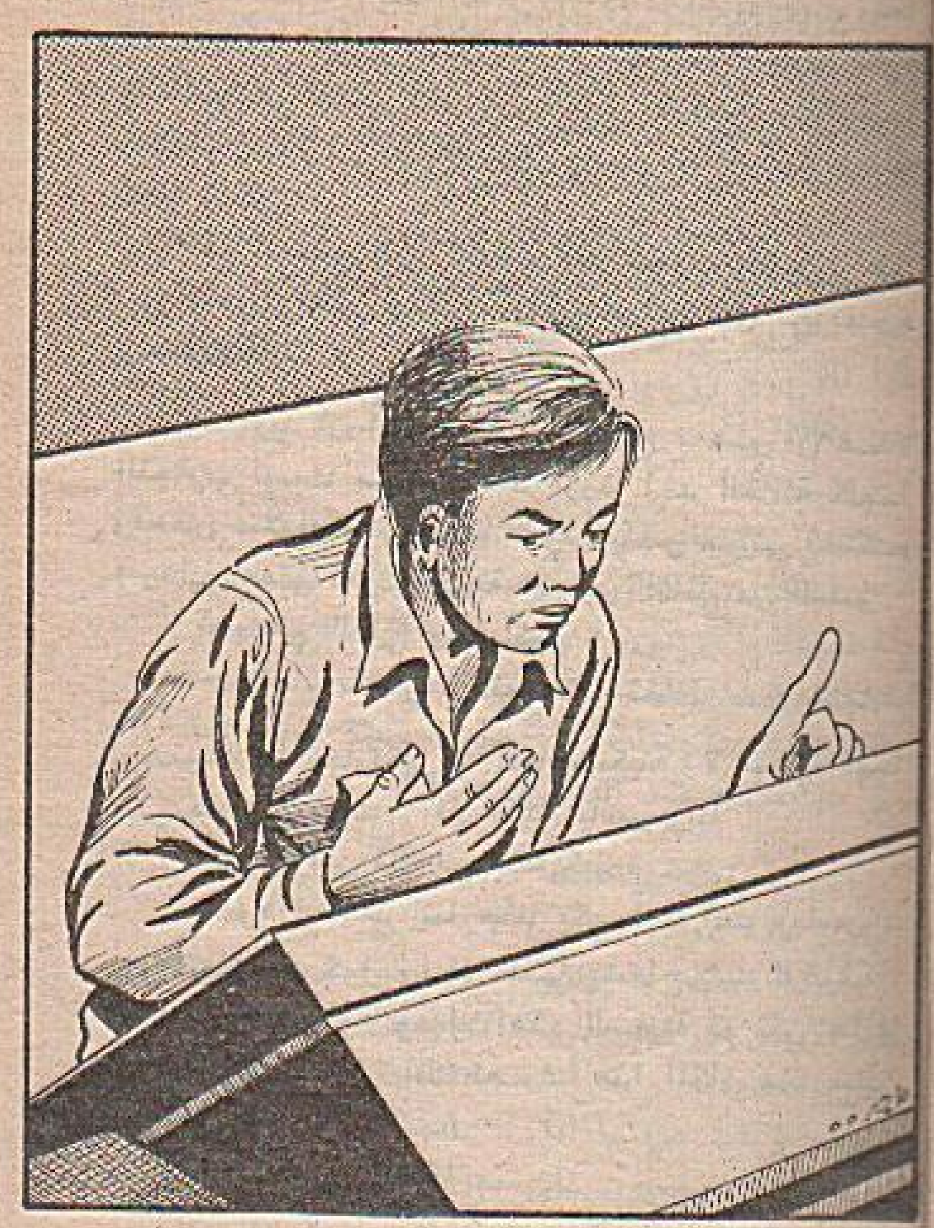
ـ نحن نعرف مانفعل ، كـل عمـر وله تجاربه الخاصة به ، وقد أخترنا (ياسر) دون بقية الصغار فـي مثل سنه لأن عقله أكبر مـن عقل أقرانه ، كمـا أخترناك أنت أيضا ، كي نعرف التطور البشري الذي طرأ على المخ والنخاع الشوكي وشرايين الرأس المختلفة .. لابد من معرفة أسرار الكون كله حتى نحتفظ بها في أرشيف المستقبل .

قلت بسرعة :

ـ كان عليكم أن تختاروا واحدا من كل عائلة بدلا من ان تقلقوا عائلة واحدة بأثنين من أولادهـا .. انتم تمزقون قلب أمي وأبي بلا رحمة .

لدن الوجه أجاب بأسرع مما نطقت أنا :

ـ انت على خطأ ، (ساروف) لايريد أن يعرف الناس بما يجري ، وأذا أخذنا من كـل عائلة نموذجا لدراستنا سيصدق الناس ـ حين يسمعون هذا الكلام منكم فقط ـ بأنكم عائلة خيالية مصيرها الجنون ، لذلك انصحكم بالصمت حين ترجعون الـى الأرض حرصا



خذوني الى هذه التجارب بدلًا من أخي ياسر

على سمعتكم بين بقية البشر ‥ ثم ـ من يدري ـ ربما كانت هناك تجارب من أجرام سماوية أخرى تقوم بأبحاثها في مكان آخر من الكرة الأرضية ، لكننا نعرف جيدا أن بلادكم بعيدة عن اختياراتهم ولذلك جئنا اليكم ·

لم أستطع الرد عليه ، فقد شعرت بالحزن على أبي وأمي وأختي وداد ، ولكن الراس قال لي بهدوء وبصوت طيب :

ـ أريد أن أخبرك بشيء مفرح ، هو أن هذه التجارب ليست مجانا ، فقد قررنا أخذ العائلة كلها وفحص خلاياها ، وعندما نعود بياسر ستأتي اختكم (وداد) حتى نعرف طبيعة الجنس الثاني من البشر ·

أصابني الفزع وأنا اقول :

ـ ولماذا أختي ؟ انها فتاة تخاف من ظلها ، ارحموها من تجاربكم ‥ انها مسكينة ولا قدرة لها على هذه المفاجات · الا يكفي ياسر وأنا ؟

لكن الراس قال لي بثقة كبيرة :

ـ وهل تعتقد اننا جئنا بكما ـ انت وياسر ـ دون أن نحقن كل واحد منكما بشعاع ضد الخوف ؟ الا تتذكر أنك حين وصلت هذه السفينة لم تكن خائفا بل جعلناك تشعر بانك تعرف هذا المكان منذ سنين طوال ؟

* * *

الذي قال لي وهو بعيد عني مسافة مترين أو تزيد :

ـ كل مايقوله (ساروف) حقيقي ، انهم لايكذبون أبدا ياطارق ، وقد أعطاني وعدا بشراء دراجة هوائية لونها أحمر وأسود وبنفسجي حتى أتذكر هذا المكان وهذه الرحلة التي لايمكن نسيانها أبدا ·

ثم سكت ياسر قليلا وقال بلهفة :

ـ يمكنك أن تطلب منهم ماتشاء ، فقد اختارونا من بين ملايين البشر ‥ سترى أشياء رائعة لايمكن وصفها لك دون رؤيتها ‥ تمتع ياطارق فهذه فرصة لا تتكرر مطلقا ·

لكنني صرخت في وجه (ياسر) غاضبا :

ـ أسكت ، أنت لاتفهم مايجري أبدا ، لقد جعلونا وسيلة لمعرفة ما يريدون ، وغدا اذا أراد (ساروف) هذا تهديم الأرض فهو يعتمد على المعلومات التي اخذها من عقولنا ومن أجسادنا ‥ نحن وسيلة سهلة لغاية لا ندري بها لكنها ضد البشرية حتما ·

رأيت (ياسر)يضحك ، بل يتلوى من الضحك وهو يقول بثقة عمياء :

ـ ماذا دهاك يا طارق ؟ اذا أراد « ساروف » أن يهدم الارض فهو قادر عليها الان وبدون أية مساعدة، سترى بعد قليل ما رأيته أنا ، وعندها ستفهم قوة « ساروف » كما عرفتها أنا ‥ أنهم لايفكرون بقوتنا مطلقا ، لكنهم حريصون على معرفة كل شيء في هذا



كدت ابكي وانا ارى دار أهلي والمكان الذي انام فيه.

الكون العظيم لئلا يقعون في خطأ عابر ليس في الحسبان !

* * *

عندها ظهر الرأس – ثانية – على الشاشة وقال بصوت آمر شديد :

– سنعود الى الأرض ، ياسر سوف يخبر أهلك بما جرى ، أما أنت ياطارق فربما تتأخر معنا أكثر من يومين .. عقابا على ماقلته عنا قبل قليل ، واذا أستمر حقدك هذا – علينا – فقد لاترجع الى الأرض على الأطلاق .

وفي دقائق ، لاأعرف عددها أو مداها ، كان (ياسر) قد رجع الى دارنا ، بل تعمد (ساروف) كما يبدو أن يجعلني أرى سطح منزلنا وأرى أبي وأمي وهما مازالا في المكان نفسه – وكذلك أختي وداد – دون أن يعرفوا حقيقة ماجرى في هذه الساعة الأخيرة . كدت أبكي وأنا أرى دار أهلي والمكان الذي أنام فيه . لكنني قلت في ذات نفسي (لابد أن يروني قويا .. انها مجرد ساعات وأعود الى الأرض) .

الفصل الثالث

بعد أن نزل « ياسر » الى الارض ، شعرت بالراحة رغم انني بقيت وحدي مع هذه الكائنات الغريبة التي لم أعرف طبيعتها ولا خصالها ولا هويتها . اسعدني ان أهلي – هذه الليلة – سيعرفون مصيري ومكاني على اقل تقدير .. وان الحزن – هذه المرة – سيكون أقل بكثير مما كان عليه حين فقدنا ياسر .

ولكن ، هل كنت أعرف مصيري فعلا ؟ ان هذه الكائنات الفضائية – التي تعيش خارج حدود الكرة الارضية بل وخارج ذاكرة الانسان – لا نفهم كيف تفكر ولا نعرف أي شيء عن مزاجها وأعصابها وحالاتها

الخاصة ، من يدري كيف يغضبون وماذا يفعلون حين يكرهون انسانا مثلي ؟ كل هذه الاسئلة تصعد الى راسي بلا أجوبة .. وهذا وحده يكفي أن يزداد حذري وخوفي منهم .

* * *

بعد دقائق ، وربما بعد ثوان « الزمن في هذه السفينة الفضائية المسماة « ساروف » غير واضح ، وهو ايضا يكاد يكون معدوما بالنسبة لي ، لكن الارقام والخطوط والالوان الضاربة للاسود والبنفسجي والاحمر ، كلها تشير الى أنهم مخبولون بالوقت » المهم . بعد دقائق ، فكرت بانني لم أشعر بالجوع ولا بالعطش ، منذ وصولي هذا المكان المدهش الغريب .

نظرت الى الشاشة ، لم يكن ثمة أحد ينظر نحوي أو يكلمني ، ليس من صوت ولا صدى ، سكون مخيف ، وأنا متروك مثل كلب أجرب لا أحد يسأل عني :

– ترى ماذا يفعلون الان ؟

فكرت : انهم يعاقبونني على الكلام الذي ذكرته أمام شقيقي (ياسر) وانهم ينظرون في أمري ، أو، من يدري ، ربما كان هذا وقت نومهم اذا كانوا يعرفون النوم .. أما انا ، فمنذ وصولي لم أحس برغبة في أي شيء ولا في أي عمل أو حركة، لا عطش، لا جوع ، لا نعاس ، لا خوف من نوع الخوف الذي نحسه على كوكبنا ، كانني لست ذاك الـ(طارق) الذي يصرخ جوعا كل ست ساعات ، والذي يشرب الماء في الصيف أضعاف ما يشرب في الشتاء ، بل انني كنت

أحب النوم ، وكان أبي يضحك مني ويقـول عنـي (بأنني شاب عجوز) رغم انني لم أصل العشرين من عمري .

رحت أنظر حولي ، اكتشف المكان من جديد ، ان أرض السفينة الفضائية ليس من حديد وليس من خشب وليس من أية مادة أعرفها أو مسكتها بيـدي طوال حياتي ، انها نوع من الذهب المزوج بالاعشاب الخضراء أو هي أعشاب تحتوي ذهبا لامعا يضـرب اللون المزوج الى لون شبيه بالاحمر وليس أحمرا ، ثم يعطي لونا بنفسجيا وهو ليس كذلك .. حتى اذا أتعبك النظر الى كل هذا توهمت ـ أيضا ـ ان اللون لم يكن غير اللون الاسود ، لكنك في كل حال لا تقدر على مسك تحديد بعينيك وتحديد معدنه أو حقيقته أبدا .

احتار عقلي في الجدران كما احترت في أرض السفينة (ساروف) وتركت أمر المكان كله ، فليس من السهل معرفة أسرار هذا الشيء العجيب دون الوقوف على معلومات خاصة ليس آخرها المعادن وليس أولها الكيمياء ، وماذا يفعل شاب في مثل عمري حتى يعرف هذا الجهاز الخرافي الذي هبط من نهايات السماء ؟

* * *

في تلك اللحظة ، وأنا أفكر بما جرى ، سمعت الشاشة ـ وهي دون رأس ولا وجه محدد ـ تقـول لي :

ـ لقد عفونا عنك يا طارق . [illegible]
ورأينا أنك طيب القلب وانسان له مستقبل جيد ، وان ما قلته عن ابناء كوكبنا يأتي من باب الافتراض غير المتعمد .

ثم تدريجيا، ظهرت على الشاشة صورة امرأة، الغريب انها تشبه النساء الارضيات، تبتسم مثلهن، وتتكلم مثلهن بل أوهمني عقلي انني سبق لي وأن رأيتها في مكان ما ومناسبة ما .. وكان ظهورها قد خفف من حـدة غضبي وحيرتي وحذري وضجري معا .. بل رحت ابتسم أمام الشاشة ناسيا همومي وآلامي ..

قالت هذه المرأة حال ظهورها على الشاشة :

ـ أهلا بك يا طارق ، سترجع الى الارض بعـد وقت قصير ، ونرجو أن تطلب منا ما شـئت ، أنت تستحق منا هدية ، تختارها بنفسك ..

بصراحة ، شـعرت بسعادة تفوق تصـوري واحتمالي ، حين سـمعتها تقول بأنني سأعود الى الارض ، وفجأة ، تذكرت هذا الوجه ، انها المذيعـة (نادية حسيب) أشـهر مذيعة في التلفزيون ، ترى كيف جاءت الى سفينة الفضاء وأنا اتذكر بأني رأيتها قبل اقل من أسبوع واحد تقرأ نشرة الاخبار ، بل ما زلت اذكر الخبر الطريف عن سرقة خمسين مليـون دولار من أحد بنوك أميركا .. والذي ذكرته ناديـة حسيب وهي تبتسم في وجوه المشاهدين ، ودون وعي مني ، صرخت :

- لقد تذكرتك الآن يا سيدتي ، أنت نادية حسيب، ولكن ، انا رأيتك قبل أيام في التلفزيون ··

قالت نادية بلا تردد :

- هذا صحيح يا طارق ، انا نادية حسيب وقد اختارني « ساروف » للعمل معه على هذه السفينة الفضائية ، ووافقت بسرعة ، أنت لا تعرف العالم الباهر المدهش الجميل في كوكبنا العظيم ، واذا عرفته ستطلب البقاء الى الابد !

كاد رأسي يدور من فرط الدهشة والاستغراب ، انها تستخدم كلمة (كوكبنا) ناسية انها من جنس البشر ومن أهل الارض ، ولم أستطع اخفاء هذه الدهشة ، وأنا أسأل بلهفة مثل طفل صغير :

- أي كوكب تعيشون عليه ؟ ثم ، اخبريني ، كيف تكونين هنا وتظهرين على شاشة التلفزيون ؟ أريد أن أعرف يا سيدة نادية ·

ضحكت نادية وهي تقول بصوت دافيء :

- لقد جئت الى هذا الكوكب منذ سنة ارضية واحدة ، يعني منذ ثلاثة ايام بحساب كوكبنا ، أما التي تظهر في التلفزيون - عندكم - فهي امرأة ثانية من صنع أيدينا وقد أعطيناها اسمي وملامحي ، أما اسم الكوكب الذي ستراه قريبا جدا فهو كوكب « زامرون » أقرب الكواكب الى كوكب المريخ ، اذ يبعد عنه مسافة مليون كيلومتر فقط ·

* * *

عندها شعرت بالتعب حقا ، من هذه المعلومات، وتمنيت لو انني لم أسألها ، فقد اختلط علي ما يجري في هذا الكوكب الواسع ، لكنها راحت تخبرني بأشياء عجيبة لم اكن قد سألتها عنها ، حيث اخبرتني ان هناك الكثير من البشر من صنع كوكب زامرون وان هذه المسألة من أسهل ما يفعله « ساروف » قائد الكوكب والذي انشأ هذه السفينة المسماة باسمه ، بل قالت لي أن العديد من الرجال المشهورين والنساء المعروفات مجرد (دمى) صنعوها في كوكب زامرون من لحم ودم وأعصاب وبعثوها الى الارض للتسلية وقضاء الوقت مثل بريجيت باردو وارسولا اندرس وسلفادور دالي ومارلين مونرو وفريد شوقي ومحمد علي كلاي وغيرهم ·· وان بامكان « ساروف » أن يجعلني ما أشاء (اذا رضي عني) واذا شعر انه استفاد من تجاربه معي !

* * *

لا ادري لماذا فكرت في حينها أن أصبح واحدا من المشاهير ، مطربا او ممثلا ، أو سفيرا في واحدة من المدن الجميلة الصاخبة مثل باريس او هسنكي او مدريد او نيويورك لكنني تركت هذه الاحلام وانا أصغي الى (نادية حسيب) التي نطقت بأشياء كثيرة ليست اقل غرابة من صنع بشر مزيفين وتصعيدهم الى أعلى مراتب الشهرة والكمال لتسلية بقية البشر أو ربما لتسلية (ساروف) نفسه وتسلية أبناء كوكب زامرون الذين يشاهدون كل ما يجري في الارض عبر الشاشة

البنفسجية على القناة ٢٧ . وقد أخبرتني نادية حسيب، ان اخي ياسر قد رأى كافة أجهزة « ساروف » لكنه صغير السن ولم يطلب منهم سوى دراجة هوائية تذكره بهذه الرحلة الغريبة .. ثم قالت انه حال وصوله الارض سيجعلونه ينسى كل ما رآه وانه سيخبر أهله انك بخير ، ثم تغلق عليه حواجز الذاكرة بشأن رحلته هذه ، تماما كما سيفعلون معي ..

كنت أسأل نادية حسيب وقد احتار عقلي فيما أسمع :

ـ وهل أنت سعيدة هنا ؟ ألا تشتاقين الى أهلك وصديقاتك والناس الذين تعرفينهم منذ طفولتك ؟ أنا شخصيا لا اكاد اصبر على فراق أصدقائي وأهلي ليلة واحدة ...

قالت نادية بسرعة كأنها جهاز مملوء بالمعلومات الجاهزة والاجابات الثابتة :

ـ اذا طلبت أن أراهم ، يأتي بهم نواب «ساروف» على هذه الشاشة وأعرف ما جرى لهم ، ثم تذكر يا طارق انهم سيموتون جميعا بينما أبقى أنا حية لا أموت ، فقد أخبرتك ان السنة الارضية ليست الا ثلاثة أيام على كوكب زامرون .. وكل شهر هنا يعادل عشر سنوات في أرضكم المسكينة ، وان السنة الواحدة هنا تساوي عندكم مائة وواحد وعشرين سنة، تصور يا طارق معنى أن تعيش ألف سنة بلغة أهل الارض ؟

* * *

أرعبني ما تقوله نادية حسيب عن الزمن .

وتمنيت أن أعرف المزيد من اسرار هذا الكوكب المسمى « زامرون » لكن نادية اختفت عن الشاشة دون سلام، وجاءني صوت خشن ـ لم اسمعه من قبل ـ يقول :

ـ سترى السفينة أولا ، وبعدها نأخذك في جولة قصيرة الى كوكبنا الباهر .

ثم قال الصوت بعد صمت قصير :

ـ يمكنك الان أن تمشي بأي اتجاه تحب، جسدك منذ الان سيخترق الحواجز حتى ترى سفينة ساروف كلها ..

لم أصدق ما قيل لي ، كيف يمكنني الدخول والخروج من هذه الجدران الفولاذية السميكة الرهيبة وانا مجرد انسان من لحم ودم ؟ تذكرت شخصية (كاسبر) في أفلام كارتون وضحكت على نفسي :

(هل تراني أصبحت مثل كاسبر أخترق الجدران وجذور النخيل وأغوص تحت الارض أو أطير في السماء بلا موانع أو رقيب) ؟ اذن ، ساجرب هذا الحال العجيب المستحيل الذي لم يكن من نصيب أحد قبلي .

جاء الصوت من جديد وهو يقول بصوت أعلى:

ـ لماذا بقيت واقفا ؟ لا تخف ، كل الممرات تحت أمرك .

ومشيت الى يمين المكان ، لكنني رغم انفي ورغم ارادتي وقفت حين وصلت الجدار المتين القوي المتماسك

(كيف سأدخل هذا الجدار بملابسي ولحمي ورأسي

هذا دون أن أموت أو أقع مغميا علي ؟) ·

لكن الصوت ، جاء قويا هذه المرة وهو يقول بحزم وصرامة ، بل وبقسوة أيضا :

– امش يا طارق ، بلا خوف ·· انها تجربة حلوة بالنسبة لابناء البشر وأنت المختار من بين ملايين يتمنون هذه التجربة المعجزة ·

هذه المرة دفعت نفسي ، وقررت أن أمر من هنا مهما كلف الامر ، لكنني قبل أن أستمر في التفكير كنت قد وصلت الجانب الثاني من المكان دون ان يمسني اي مكروه ··· وكم تمنيت عندها أن يراني اهلي واصدقائي وانا اكسر طوق المستحيل وأفوت بجسدي هذا من جدار الى جدار !

رايت سفينة ساروف ، وتذكرت ما قاله (ياسر) بانهم يملكون قوة تكفي لتدمير الارض بلا مساعدة وبدون معونة احد منا ·· اذن ، لماذا يفحصون عقلي وطبائعي ومساماتي وأفكاري وأنا مجرد انسان بسيط لا اختلف عن غيري من البشر ؟ لابد أن هناك سرا لا يفهمه شاب في مثل عمري ، أو أنهم يريدون الوصول الى شيء معين في الأرض عن طريق البشر وربما استخدموني دون علمي وسيطا لتحقيق اختباراتهم المرعبة ، او رسولا الى شخصيات كبيرة بصورة غير مباشرة ·

* * *

كانت سفينة « ساروف » وحدها ، عبارة عن ترسانة للسلاح النووي والنيتروني ، وكانت هذه السفينة تساوي مدينة في مساحتها وبما تحتويه من آلات ومدمرات و·· وشخوص !

نعم ، كان كل واحد يراني ، يستغرب شكلي وشعر راسي وملابسي ، سيما وانني جئتهم بالبيجامة حيث كنت نائما واختطفوني من سطح منزلي ·· أما هم فقد كان كل واحد منهم عبارة عن نسخة كاربونية من الثاني ، وفهمت أنهم يعرفون بعضهم البعض بالرموز والأرقام المعلقة على الصدر ·· فهذا رقمه (٥٣٥) وذاك رمزه (أس٨) ويختلف البعض عن البعض باللون ، ويبدو ان صاحب اللون الأسود اكثر خطورة واعلى مكانة من صاحب اللون البنفسجي ، أما صاحب اللون الأحمر فهو شامخ الرأس ومغرور ·· لكنني على ثقة انهم يعرفون كل واحد بلونه ورقمه ورمزه ، فهذا العدد الكبير المتشابه منهم لا يمكن معرفته دون اشارة أو باج أو ذبذبات بعينها تطلبه عند الحاجة !

* * *

ورغم انهم صدموني في الطريق عدة مرات الا انني لم اكن اشعر بشيء ، فقد كان جسدي يخترق كل شيء حتى أجسادهم التي لم أعرف من أي شيء كانت مصنوعة ، فهي تبدو ثقيلة للغاية ، لكن حركاتهم السريعة وعدم وقوفهم في الطرق والممرات والزوايا

توحي أن أجسادهم هشة وغير ثقيلة ، لكنهم على أية حال ينظرون الى امام وليس من شيء يدفعهم للوقوف والنظر الى الخلف مهما كان السبب ، الا اذا جاءت ذبذبة كهرومغناطيسية معاكسة تتعلق بواحد منهم أو بتغيير طارىء يتعلق بحادث مفاجيء ، عندها يقف برهة ثم يمشي الى حيث جاءت تلك الذبذبة .

أخذت افكر في مصير الأرض ، وأنا اشاهد كل هذه العجائب والالات الغريبة ، ماذا يكون حال الجيوش والأسلحة الأرضية ازاء هذا التطور والتقدم الفائق الذي توفر لهؤلاء الفضائيين ؟ ماذا تنفع الدبابات والمدافع والطائرات والقنابل المتطورة بل وحتى القنبلة الذرية مع هذا الصنف غير المعقول من أجناس الفضاء ؟

صدفة ، وأنا أمشي في طرقات سفينة ساروف ، رأيت نادية حسيب وهي تمشي في نفس طريقي كأنها ظهرت من العدم .. أسرعت اليها وقلت مبتسما :

ـ انا سعيد برؤيتك في هذا المكان البعيد .

نظرت الي ومدت يدها تصافحني وهي تقول :

ـ أهلا ياطارق ، ماذا تفعل ؟

ـ ارى سفينة ساروف وعجائبها ، وقد قيل لي بأنني سأرى كوكب زامرون .

قالت نادية وهي تمشي :

ـ حقا ، فقد سمعت انهم يرغبون بذلك ، كما ان تجاربهم معك تحتاج الى وقت آخر .. أنت أفضل

تجربة حصلت عليها كما قال ساروف .

قلت لها بدهشة :

ـ ماهي هذه التجارب ؟ انهم يتركوني وحدي كما أنا الآن ولم يأخذني أحد منهم الى مشرحة أو جهاز كهربائي أو أي مكان للفحص على جسدي وعقلي ؟ فأين هذه التجارب ومتى ستبدأ ؟

ضحكت نادية حسيب وهي تقول :

ـ هل تعتقد أنك في كوكب الأرض ؟ انهم ـ هنا ـ لايحتاجون الى وسائل البشر العادية في الفحص على الكائنات ، الأجهزة الخفيفة تقوم بدورها دون علمك أنت ، انهم يسجلون كل كلمة تنطق بها وكل حركة تقوم بها وكل شهيق تتنفسه ياطارق !

نظرت حولي وأنا أمشي مع نادية حسيب ، كم أنا معجب بهذه المرأة الجميلة كلما كانت تظهر في التلفزيون ، لكنها قالت بعد قليل :

ـ لابد لي من الذهاب ، عندي عمل في أجهزة المستقبل ، تمتع أنت برؤية السفينة حتى أراك ثانية .

وعندما ذهبت نادية ، رحت أراقبها حتى اختفت ولست أدري لماذا شعرت ـ على حين غفلة ـ بأنها ليست نادية حسيب المذيعة المعروفة ، فقد كانت مشيتها مستقيمة جدا وآلية جدا حتى حركة يديها كانت أشبه بجندي (بلغاري) يحرس مقبرة (ديمتروف) .. هل تراني أتخيل أو أتوهم ؟ من يدري ، ربما تغيرت طباع هذه المرأة حين جاءت الى هذا الكوكب المذهل ، وحين اشتغلت معهم في هذه

السفينة العملاقة ؟ من أين لي معرفة الأسرار كلها ؟!

* * *

كنت أعرف انهم يراقبون حركاتي وأفكاري . لولا هذه المراقبة لكان بامكاني حرق هذه السفينة أو تدميرها على مراحل ، لكنهم ـ كما قالت نادية أو كما حذرتني ـ يفهمون ما يدور ويراقبون كل شيء بأجهزة خفيـة دقيقـة لاتخطيء ابدا .. ياللرعب اذا وصلت جميـع افكاري اليهم ، فهذا يعني الموت حتما ..

لكنني رغم هذا كنت أزداد اشتياقا لرؤية كوكب « زامرون » ترى كيف يكون شكله اذا كانت هـــذه السفينة واحدة من ممتلكات هذا الكوكب اللغز ؟ حتى انني لم اقرأ عن هذا الكوكب العجيب في دروس العلم والمعرفة ، ولم أعثر عليه بين المجرات وأسماء الكواكب المشهورة ، مثل المـريخ والزهـرة أو المشتري ، بـل سمعت أغرب أسماء النيازك والأجرام والشهب التـي تمخر عباب الفضاء ، ولم يرد اسم « زامرون » لافـي ذاكـرتي ولا فـي معلومات أصدقائي أو فـي قصص المدرسين الذين يحكون لنا أغرب الغرائب .

* * *

على اية حال ، السماء مازالت غامضة ـ بالتاكيد ـ علـى أعظم علماء البشريـة وليس مـن السهل ان نعرف أسرارها كلها في هذه السنين القليلة من البحث والكشف عن الغازها الكثيرة !



دخلت الى قاعة مستطيلة لم تصل عيني الى نهايتها.

ـ دخلت الى قاعة مستطيلة لم تصل عيني الى نهايتها ، فقد غمرها ضباب كثيف ، داخل هذ الضباب رأيت مايشبه الصواريخ المدببة ، كأنها جاهزة للانطلاق في أية لحظة ،هذه الصواريخ برؤوس حمراء وسوداء وبنفسجية ٠٠ حقا ، لم أعرف سر هذه القاعة لولا هذا الصوت الذي جاءني من سقف القاعة يقول لي :

ـ كل أسلحة الارض لا تساوي شيئا ازاء ما ترى، هذه الرؤوس الحمراء يمكنها أن تغطي وجه الارض بسائل ترابي سام يكفي أن يستنشقه الانسان حتى يعجز عن فعل أي شيء ، أما تلك الرؤوس السوداء فهي تكفي أن تمسح المحيطات والبحار والأنهار من مياهها حتى لا تبقى نقطة ماء واحدة للشرب ٠٠ لكننا كما ترى نملك هذه الرؤوس البنفسجية، ولانستخدمها الا في حالات السلم الذي يأتي بعد الحرب ، حيث يمكننا اعادة المكان الى طبيعته الأولى مهما كانت الخسائر التي تسببنا فيها !

صرخت بصوت مسعور :

ـ وماهذا الضباب الذي يغطي المكان ؟

اجاب الصوت بلا أي انفعال :

ـ هذا ليس ضبابا ، انها مادة خاصة تحمي اسلحتنا من الصدأ أو الخراب ، وهي كما ترى أسلحة باقية منذ سنين طوال ولاندري متى سنضطر لاستخدامها ، لكنها جاهزة ، وهذا هو المهم بالنسبة لحماية زامرون ٠

شعرت بالرعب وأنا أقول :

ـ أهل الارض لا يستحقون هذه الحروب ، انهم مسالمون ، لماذا التفكير بالحرب منذ الآن ؟ انهم ـ حتى اليوم ـ لا يدرون بكم وليس من السهل الاقتراب منكم ابدا ٠٠

قال الصوت كمن يضحك :

ـ من حق كوكب « زامرون » أن يحافظ على كيانه ، ثم من قال لك ياطارق اننا سنحارب الأرض ؟ السماء مزدحمة بالكواكب التي تنافسنا وتحاول التغلب علينا واستغلال معلوماتنا الخطيرة ٠٠ أننا نفكر بهذه الكواكب ولانفكر بكم مطلقا .

ثم اختفى الصوت وبقيت وحدي ، أنظر وأمسك بأصابعي هذه الصواريخ الجبارة حتى اقتربت من الرؤوس البنفسجية ، فشعرت بالحب لها ، فهي أسلحة السلام الوحيدة في هذا المكان المزدحم بالرعب والهلاك !

الفصل الرابع

بعد وقت قصير ، سمعت همسا عبر الجدران ، لم أعرف مـن أين ياتي ، وكيف تسرب نحوي دون أن يعلموا ، قال الصوت الاول :

ـ هل نعيده الى الارض ونأخذ أخته وداد بدلا عنه ؟

أجابه الصوت الثاني :

ـ لكـن تجاربنا مـازالت ناقصـة ، وعلينا أن نعرف ماجرى لشقيقه (ياسر) بعد رجوعه الى الارض ٠٠ هل نسيتم ان المواد المتسربة الى جسمه تحتاج الـى أسبوع ارضي واحد حتى تظهر النتيجة ؟

قال صوت آخر :

ـ لا أعتقد اننا نحتاج الى احد حتى تظهر نتيجة فحص (ياسر) و (طارق) ، والآن لابد من الفحص النهائي على طارق في كوكب زامرون ٠

* * *

بعد دقائق في حساب زمني أنا ، رأيت شاشات السفينة كلها وثغورها الخفية غير المرئية تقول بصوت واحد :

ـ ساروف يصل زامرون ، الرقم صفر ، تهيأ ، ساروف يصل زامرون ، الرقم صفر ، المسالك مفتوحة ، ساروف يهبط ٠٠ الرقم صفر ، ابتعـد عـن المدرج ، أبتعد عن السفينة ، بقية الارقام تستعد للطواريء ٠٠ ساروف يتكلم ٠٠

لاأدري لماذا شعرت بقشعـريرة في جسمي ،، أنني أهبط على كوكب زامرون ، وبعد قليل سأرى هـذا الكوكب العجيب ، سمعت صوتا انثويا يقول :

ـ زامـرون ، الباب البنفسجي جاهـز للدخول الـى المـركز ، الضيف يتفضل مـع الـرقم ٩٠٩ب زامرون يرحب برجوع ساروف، الرقم ٩٠٩ب جاهز تماما ٠

عندها رأيت رجلا فضائيا يتقدم نحوي ويشيـر بأدب الى المدخل البنفسجي الذي سيأخذنا الى مركز الكوكب « زامرون » فتبعته بلا كلام وأنا مازلت اشعر برجفة تشبه الكهرباء في جسدي كله ٠

قال الرجل الفضائي ٩٠٩ب وهو يحني قامتـه على طريقة البشر :

– بمناسبة دخولك كوكب « زامرون » عليك أن تأمرنا بما تريد ، هدية للذكرى تبقى معك الى آخر العمر ، أي شيء تريد سيكون جاهزا لديك في منزلك الأرضي عندما تعود ٠

رحت أفكر في شيء غريب أو شيء ثمين – لاوجود له في الأرض – يذكرني بهذه الزيارة التي لاتشبه كل زيارات الدنيا ، فكرت عشرات المرات ، بل مئات المرات عساني أصل الى شيء غير موجود اتباهى به أمام أصدقائي في المحلة ، وأخيرا ، عثرت على الشيء الذي أريد ٠٠ قلت لهم :

– أريد منكم ساعة يد وفيها راديو حتى أسمع أخبار العالم وأغانيه وأعرف الوقت أيضا واذا كانت غالية .سأختار غيرها ٠

قال الرجل الفضائي :

– هذه الهدية أبسط ما يكون، ستراها جاهزة حين رجوعك الى الارض ، وعليك الان أن تتفضل لرؤيةكوكبنا الجميل ٠ كما أحب أن أذكرك أن هذه الهدية لاعلاقة لها بالخير الذي سيعم على عائلتك كلها يومابعد يوم حتى لايشعر بكم أحد ٠

* * *

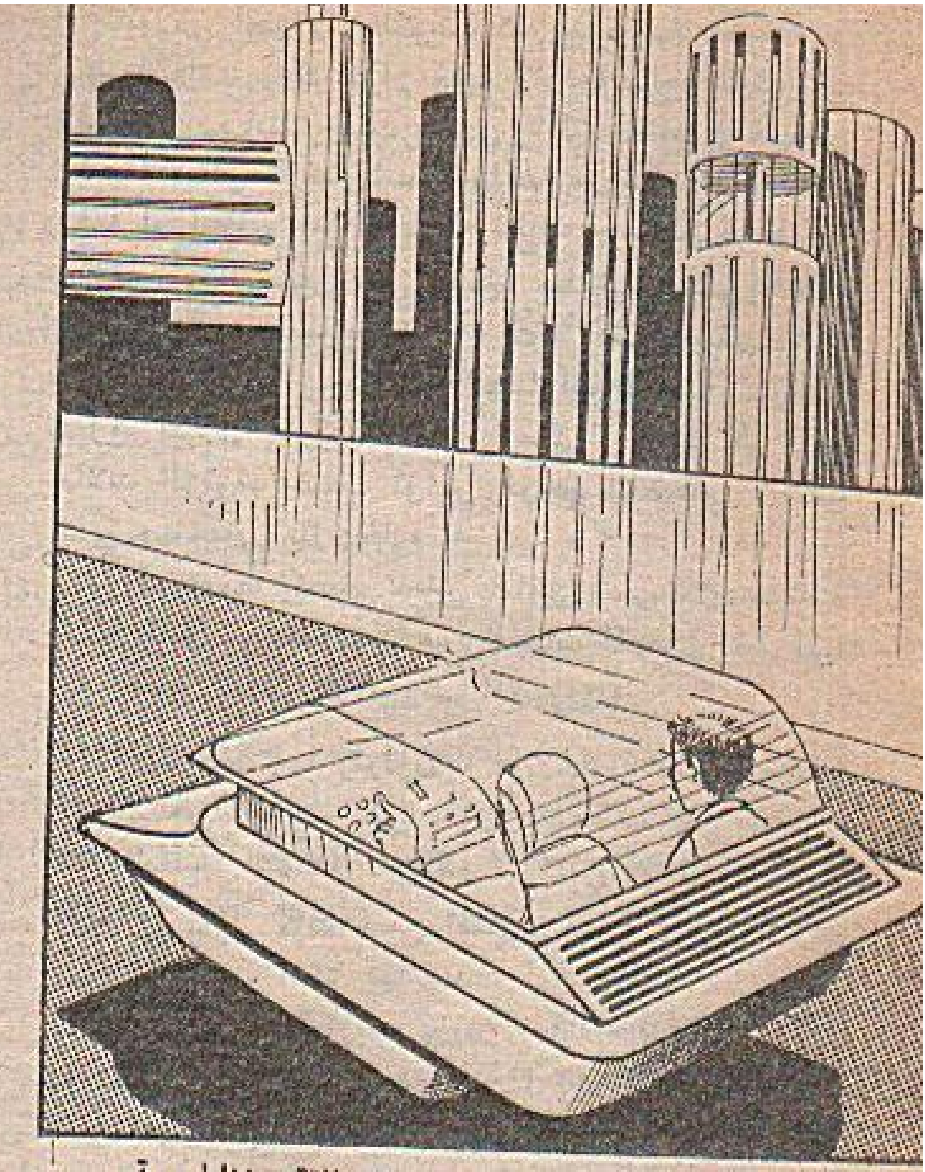
دخلت كوكب زامرون ، لم أصدق نفسي ، كيف يمكن خلق كوكب كهذا في ربوع السماء حتى في الف سنة ؟ هواء نقي ليس فيه من أثر لدخان أو روائح مصانع سيئة ، عمارات مدورة لاتشبه عمارات أميركا أو اليابان ، بعض هذه العمارات غير مسنود على شيء

بل طائر في الهواء ، الكوكب كله يشع بلا أضواء ، أو ربما كانت هناك أنوار خفية لاأراها بالعين البشرية، لكن المكان – أينما وليت وجهي وأينما دخلت أوخرجت – نظيف لا أثر فيه حتى لذرة واحدة من تراب او مناديل ورقية او اعقاب سكائر ، انه نظيف بصورة غير معقولة ، كنا نسير على مركبة مطاطية تمشي بالطاقة المغناطيسية ، وطبعا بدون اطارات ، حتى سائقها لا يمسك مقودا لها – كما في السيارات العادية – وانما يديرها بأزرار ملونة تأخذها شمالا أو شرقا أو في حالات الوقوف حسب أوامر الرجل الفضائي ٩٠٩ب الذي صاحبني مثل خادم ٠

ثم مررنا بنصب خطير شاهق أعلى من عمارة بمائة طابق ، سألت عن هذا النصب المدهش فقيل لي: انه نصب المقاتل الزامروني المجهول !

وفوجئت بما يقولون ، هل حارب أهل هذا الكوكب في السابق حتى يكون عندهم – كما عندنا – هذا النصب الشاهق لموتاهم ؟ لكنني سمعت الرجل الفضائي يقول كأنه سمع أفكاري فراح يجيب على أسئلتي التي لم أنطق بها بعد :

– زامرون حاربت مرتين ، كانت أول حرب لنا قبل ثلاثة الاف سنة (فضائية) مع كوكب (سارلي) الذي احترق بكل من فيه ولم يبق منه سوى مانملكه من اثار في متحف (زامرون) ٠٠ والحرب الثانية قبل ألف سنة مع الشعاع الغازي الملوث الذي خرج علينا من الشمس ، ولم نكن وقتها نملك السلاح



كنا نسير على مركبة مطاطية تمشي بطاقة مغناطيسية.

المضاد لهذا الشعاع الذي هشم اجزاء كبيرة من كوكبنا الجميــــل ، ومنـذ الحـرب الثانيـــة صــار علينا ان نعرف جميع الاعداء ونحيط علما بما يملكون وبمـا سيملكون !

قلت له بشيء من الخوف :

ـ وهل ترون في أهل الارض أعداء لكم ؟

أجاب بسرعة أذهلتني :

ـ نحن لا نفرق بين كوكب واخر ، مهمـا كانت المسافة قصيرة أو بعيدة ، المســتقبل غامض جدا ، واجهزتنا الخاصة تقول « الثقة ممنوعة منعا باتا » ولهذا السبب نقوم بدراسة كل شيء ما يخطر وما لا يخطر على البال حتى لا نخسر أي شيء من كوكبنــا المذهل الذي نحبه جدا .

في تلك الثانية كنا نمر في شوارع مزدحمة بالزهور والنخيل واشجار البرتقال ، بل رأيت نخيلاً لا يشبه نخيلنا وزهورا لا تشبه زهورنا ، قال عنهـا الرجل الفضائي :

ـ كل ما تراه في هذا الشارع هو من ابداع اهل الارض ، وقد سرقنا فكرة النخيل وزراعة الزهور من البشــــر ، وعندنا الكثير في كوكب « زامرون » مـن ابداع كوكبكــــم ، ونحن ننظر الى الارض على انـه الكوكب المسالم الوحيد بالنسبة لنا ، فهو يحــارب بعضه البعض ولا وقت لديه في التفكير بكواكب اخرى، لكننا لا ندري ماذا سيفعل كوكب الارض بعد عشـرة الاف سنة مثلا ، ولهذا رفعنا شعار « الثقة ممنوعـة

منعا باتا » التي يكررها قائدنا « ساروف : أسطورة زامرون الذي لا يخطيء أبدا » .

* * *

ادهشني كل شبر من (زامرون) وعندما أوصلوني المكان الذي سأعيش فيه بقية اليوم أعطوني شرابا لم أذق مثل طعمه اللذيذ طوال عمري ، بل لم أصدق ان الدنيا كلها تملك مثل هذا الطعم الشهي الذي يشبه الكاكاو ممزوجا بطعم الاناناس ومعصورا عليه رحيق الجوافة زائدا قطرات من البرتقال والموز وماء الورد .. كما ان هذا الشراب يشبه رائحة التفاح المغلف بالياسمين !

لم أستطع اخفاء دهشتي وشعوري باللذة ، فقلت لهم :

ـ سبحان الله ، هذا أغرب شيء عندكم رغم انه ابسط شيء في الوقت نفسه ..

ولاول مرة ـ منذ اخذوني من سطح منزلي ـ شعرت بهم يبتسمون ، بل ويضحكون ، فقد كان كلامي ـ كما يبدو ـ مضحكا بالنسبة لهم ، وقد أعطاني أحدهم المزيد من هذا الشراب ، وكنت في كل مرة اشكرهم على ما يفعلون .

بعد هذه الضيافة الرائعة ، تركوني أرتاح في غرفة زاهية ، وقد قالت الشاشة المعلقة في وسط الغرفة :

ـ سترتاح بعض الوقت ، ثم تأتي سفينة ساروف حتى تأخذك الى بيتك ، نحن نشكرك على ما فعلته من

أجل (زامرون) وسوف تصلك الهدية في أقرب وقت، كما اننا بدأنا منذ الليلة بتحسين أوضاع العائلة .

ترى ، ماذا فعلت من أجل كوكب « زامرون »؟ ولماذا يشكرونني دائما ؟ هل أخطأت في حق (الارض) واعطيتهم معلومات خطيرة دون علمي ؟ وكيف يمكنني معرفة الجواب على هذه الظنون التي صارت توجعني وهم لا يخبرونني باسرارهم الا ما يريدون كشفه من امور بسيطة ..

جاءني في تلك الساعة ، صوت نادية حسيب وهي تقول :

ـ هل أنت مشتاق للرجوع الى الارض ، أنا أيضا أشعر بالرغبة في الرجوع .

* * *

نظرت الى الشاشة وهي تبث على مساماتها وجه نادية حسيب ، وللمرة الثانية افكر « هل صحيح أن هذه المرأة هي المذيعة نادية حسيب نفسها » ؟

كل شيء حولي مزدحم بالشك ، لكن ماذا يمكن لانسان في مثل عمري أن يفعل ؟ بل من يصدقني حين رجوعي الى كوكبنا الأرض اذا حكيت لهم عن هذا الكوكب الخطير ، المملوء بأحدث وأخطر الأسلحة الكونية ؟ سيقولون عني وعن عائلتي بأننا عائلة مجانين ، ومن الخير ـ كما قيل لي ولشقيقي ياسر ـ أن نرى ونسكت ، سيما وأنهم سيبعثون لنا بهداياهم ذكرى هذه الرحلة، ولاادري ـ أيضا ـ ما ينوون فعله من أجل رفاه عائلتي ؟ كما أنهم مستعدون ـ حتى

هذه الدقيقة - لتنفيذ رغباتي اذا أخبرتهم بشيء ، لكنني مازلت أعتقد ان هذه الرحلة الغريبة هي أكبر ماحصلت عليه في حياتي ، وليس من السهل على كافة أبناء البشر النفاذ الى ربوع السماء ورؤية هذا الكون الساحر العجيب الذي يحتوي على أجمل الأسرار وأعظم المناظر وأغرب طبيعة يمكن أن تراها العين البشرية ..

* * *

ان اختيارهم عائلتي دون بقية العوائل هبة طيبة لااريد نكرانها أبدا ، رغم أنني مازلت أخاف على أختي (وداد) فهي لاتشبهنا وليست قوية بما يكفي حتى تتمكن من التمتع بهذا السحر الغامر وهذا الجمال المستحيل .

نظرت حولي ، في أرجاء الغرفة كلها ، كما نظرت في السابق الى سفينة (ساروف) وشوارع زاميرون ،وأدهشني ان الوان البنفسجي والاحمر والاسود تطغي على كل شبر وكل بناية وكل شيء في هذا الكوكب الشاسع المذهل ... ولم أفهم أو اكتشف السبب وراء اختيارهم هذه الالوان الثلاثة .

مشيت في الغرفة ، اقتربت من الشاشة ، مددت اصبعي الى أزرار ناعمة أسفل الشاشة ، ودون أي تعمد كنت قد مددت اصبعي على اللون الأحمر ، فظهرت على الشاشة بحيرة حمراء تشبه الدم البشري يظهر بخارها عاليا وهناك من يرمي برجال الفضاء الى هذه البحيرة ويأمرهم بالموت أو الموافقة على اراء

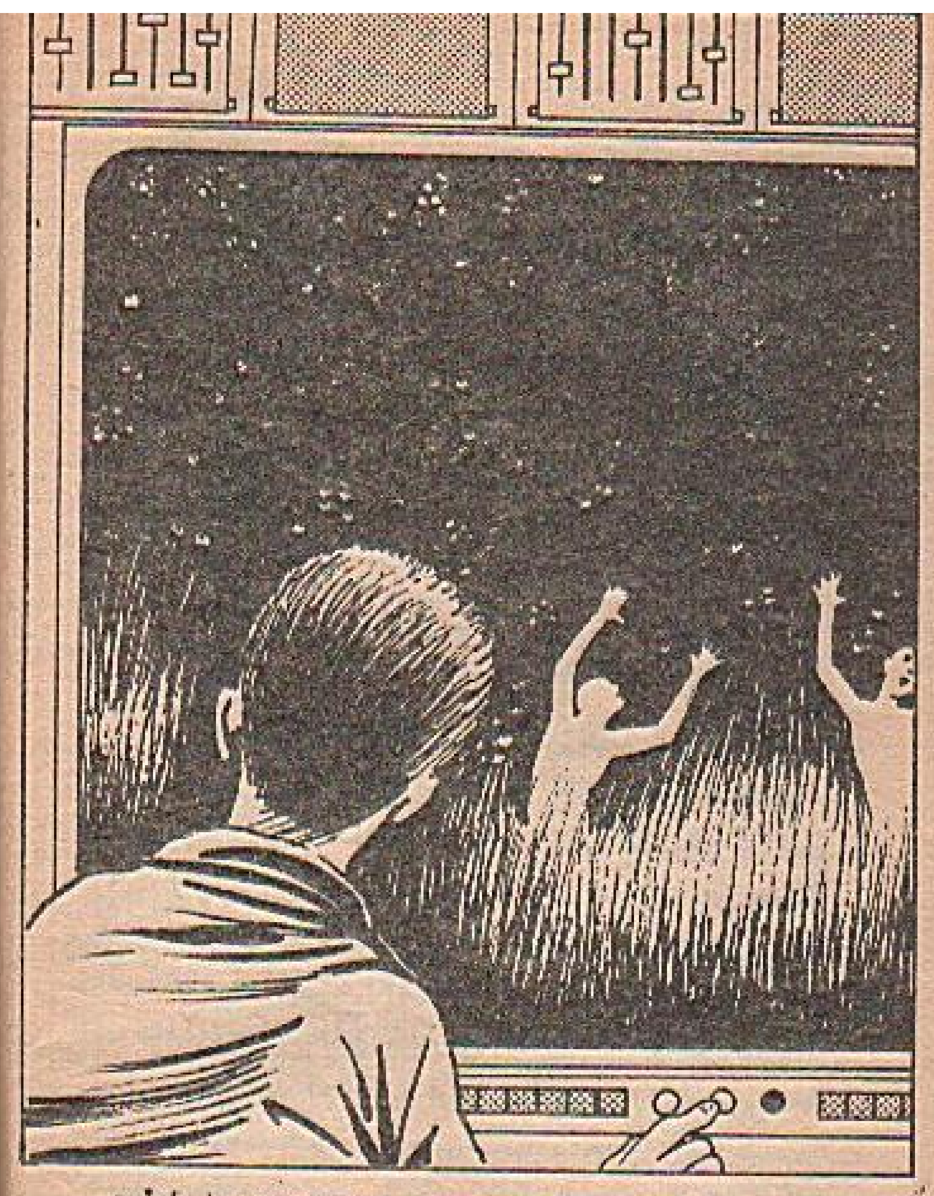
(ساروف) .. شعرت بالخوف ولم أعرف ماذا سيفعلون بي ان اكتشفوا مارايت !

قلت في نفسي : لابد من تغيير هذا المشهد مهما كلف الامر خوفا من أن يرموا بي الى هذه البحيرة الرهيبة القاتلة .مددت اصبعي الى اللون الاسود وتمنيت أن أغلق الشاشة ، لكنني رأيت ماهو اكثر رعبا ، فقد كان هناك ممر طويل اسودا مرعبا وبعض رجال الفضاء مطوقون بسلاسل فولاذية يصرخون من وجع لم افهم سببه ، لكنهم بين وقت وآخر يتناثرون أشلاء ويأتي جهاز اسود يأخذهم ويرميهم وراء حاجز اكثرسوادا (لابد انه من مادة المغناطيس شديد الجذب) دون أي اهتمام او احساس بما يدور .

* * *

صار علي أن أنقذ نفسي من هذه الورطة الكبيرة التي انزلقت اليها دون ارادتي ، أية حماقة دفعتني الى اللعب بهذه الازرار المقيتة ؟ ان رجال الفضاء أو أبناء كوكب (زامرون) بالذات يعيشون حياتهم بلا عواطف، ويبدو انهم يزدادون قسوة حتى أنفسهم بعد الحروب التي خاضوها قبل ثلاثة الاف سنة مع كوكب (سارلي) وقبل الف سنة مع الشعاع الغازي الذي جاءهم من الشمس !

تذكرت - فجأة - ان اللون البنفسجي هو لون السلام في كوكب زامرون ، مددت اصبعي عليه ، حتى تختفي تلك الصور البشعة التي رأيتها قبل قليل ، وفعلا ، رحت أرى على الشاشة



شعرت بالخوف ولم اعرف ماذا سيفعلون اذا اكتشفوا مارأيت.

كرنفالا صاخبا على طريقة أهل الأرض ، رقص وغناء وانغام يفرزها الكومبيوتر تشبه مايعزفه البيانو لكن باصابع من حديد ، فقلت مع نفسي محتارا :

– هـذا احسن ، حـتى اذا رآني واحد منهـم وأنا اشاهد هذا الجانب من حياتهم وأسرارهم لن يقول أو يفعل بي أي شيء .

لكنني بعـد دقائق قليلـة ارعبني وكـاد يقتلني ماجرى ، حيث رأيتهم يدخلون الغرفة بملامح قاسية ، تماما كما الوجوه التـي رأيتها علـى القناة الحمراء وفي أيدي البعض منهم سلاسل فولاذية من نار كما السلال التي رأيتها على القناة السوداء !

رجعت الى الوراء ، صار الخوف يلاحقني في كل جزء من جسدي ، كنت أردد بلا وعي متي كلمـات لاأدري كيف نطقت بها :

– انا لم افعل شيء، انا لم افعل شيء· ماذا جرى؟ مـاذا بكـم ؟ لكنهم يقتربون منـي ، تذكرت البحيـرة الحمراء وأشلاء بعضهم وهـي تتناثـر فـي الفضاء وازداد الذعر في رأسي حتى أنني أغلقت عيني وبدأت أذكر أسم الله سبحانه وتعالـى : أن ينقذني مـن هذه الورطة التـي تفوق التصور ، الا أنني سمعت صوتا رحيما يقول :

– ارجعـوه الـى الأرضـ فورا ، واحقنوه بحقنة النسيان لئلايتذكر اي شيء ، لانريد أحدا مـن عائلته بعد الآن ·· لقد عرف من أسرارنا أكثر ممـا يجب !

الغريب في تلك الحظة ، أن نادية حسيب ظهرت معهم وهي تصرخ بوجه صارم :

ـ قلت لكم انهم فضوليون ، يريدون معرفة كل شيء ـ حتى ـ بلا سبب معقول .

نظرت اليها ، تمنيتأن تنقذني من هذه المشكلة ، لكنها صارت اقطع منهم واكثر قسوة ، قلت لها :

ـ سيدتي ، لـم اقصد معرفـة أسرارهم ، كنت وحدي في الغرفة لاأعرف ماافعل ومددت يدي دون قصد الـى ازرار الشاشة . لابـد أن تساعديني فأنت وحدك من أبناء قومي وهؤلاء غرباء عني وعنك .

لكن نادية حسيب راحت تصرخ في وجهي لاول مرة بعنف وحقد عجيبين ، وانا انظر في عرنيها اكاد أفقد صوابي مما سمعت :

ـ اخرس ، هـذا يكفـي ، ستعود الـى الارض وتنتهي من متاعبك ، هل كنت تصدق أنني ناديةحسيب فعلا ؟ اننا نصنع الف (نادية) متى شئنا . ياالك من مغفل .

* * *

في لمح البصر انتقلت مـن كوكب (زامرون) الى سفينة (ساروف) بلا اهتمام ، ودون أن يعتنـي بأمري أي منهم ، عبـرت السفينـة الاف الكواكب والمجرات ، ومررنا قرب نيازك تحترق وأمطار غزيرة تنهمـر ، ثم قال لي وجه ظهر على الشاشة :

ـ انظر ، هذا بيتكم ، حين تهبط تكون قد نسيت

كل شيء وسترى أهلك أيضا وهم لايعرفون بما جرى .

كنت أريد أن ابكي فرحا ، لاأصدق أنني سأعود الى دارنا حقا ، وانهم رغـم مافعلت لـم يقتلونني أو يحرقونني في تلك البحيرة الحمراء الرهيبة .. ثـم أقتربت السفينة (ساروف) من سطح منزلنا وهبطت على سطح دارنا بسلم من شعاع مغناطيسي مضيء .. رماني الشعاع على فراشي تماما ، حيث رأيت أخي (ياسر) يغط في نوم عميق وأختي وداد وأبي وأمي ..نظرت اليهم وبكيت ، سمعني ابي ، هو الوحيد الذي أيقظه بكائي فاقترب مني وقال لي :

ـ ماذا بك ياطارق ؟ هل كنت تحلم ؟

لم أصدق هذا السؤال الذي يطرحـه والدي ، نظرت الى وجه أبي وقلت له :

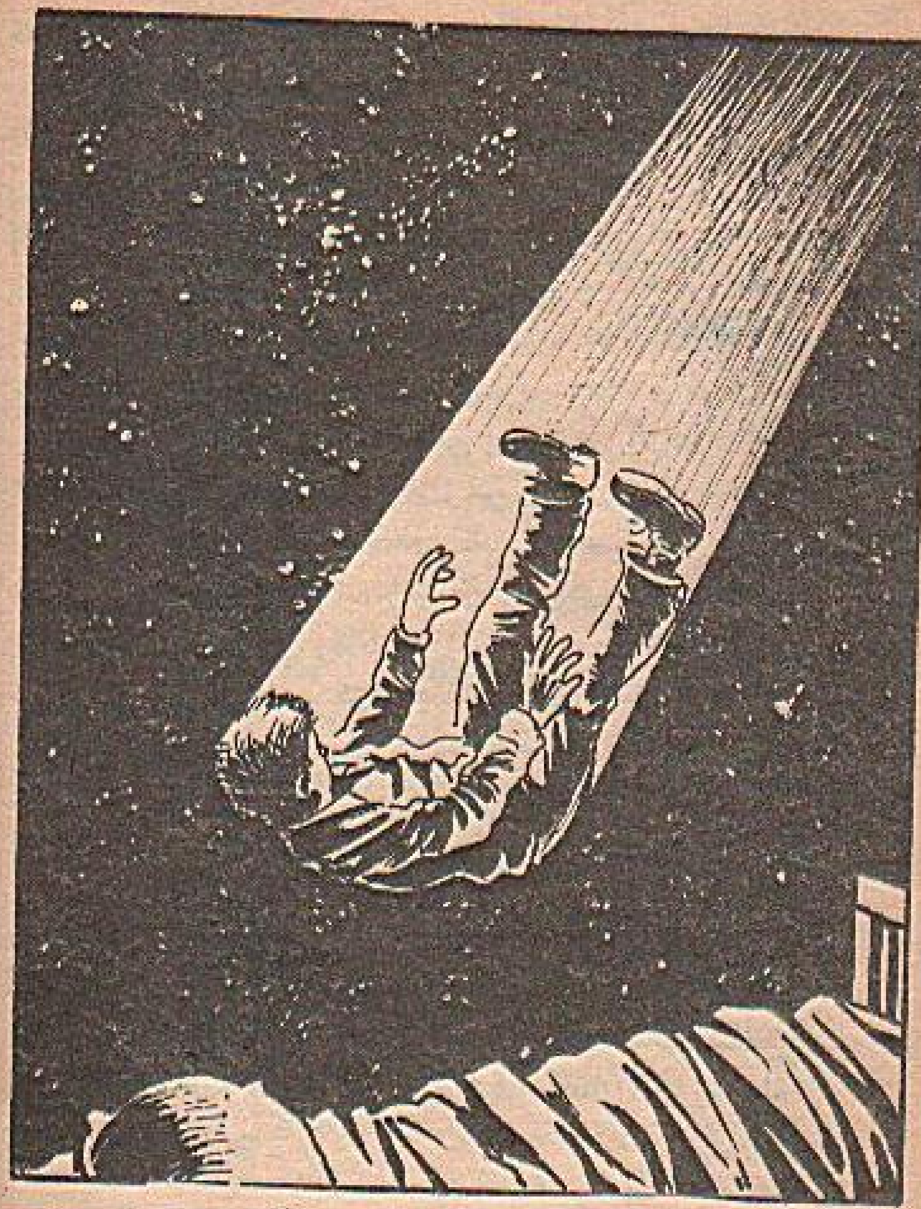
ـ لكنني ياأبي كنت هناك ، في أعلى السماء ، وانت تدري ، الم يخبركم أخي ياسر ؟

ابتسم ابي وراح يقول بهدوء ومحبة :

ـ نمياطارق ، ستحكي لنا احلامكفي الصباح..

كنت أريد أن اصرخ : « لم يكن حلما يا أبي » .. لكنني نظرت الى النجـوم وهي تملأ السماء العظيمة ، تلك السماء الصافية الجميلة ، ثم نظرت الى عائلتي وهي تنام هادئة هانئة .. لم اعرف ماذا افعل أو ماذا اقول غير الصمت ..

* * *



رماني الشعاع على فراشي تماماً

في اليوم التالي ـ مباشرة ـ بينما كان أبي يضحك وهو يحكي عني وكيف أيقظته من نومه وأنا أبكي ، وبينما استمر أبي يسالني عن حلمي هذا ، سمعنا طرقا على باب البيت ، ذهبت أختي ودادوبعدها راح شقيقي ياسر ، وما هي الا ثانية واحدة حتى صرخ ياسر بصوت فرح :

ـ تعال يا طارق وانظر ..

كان ساعي البريد ، أو من ظننته ساعي البريد، قد احضر دراجة هوائية لونها أحمر وأسود وبنفسجي ، ثم أعطاني غلافا انيقا مشدودا بوردة صناعية ما أن فتحته حتى رأيت (ساعة يد) في غاية الجمال ، قال لي قبل أن يغادر باب البيت :

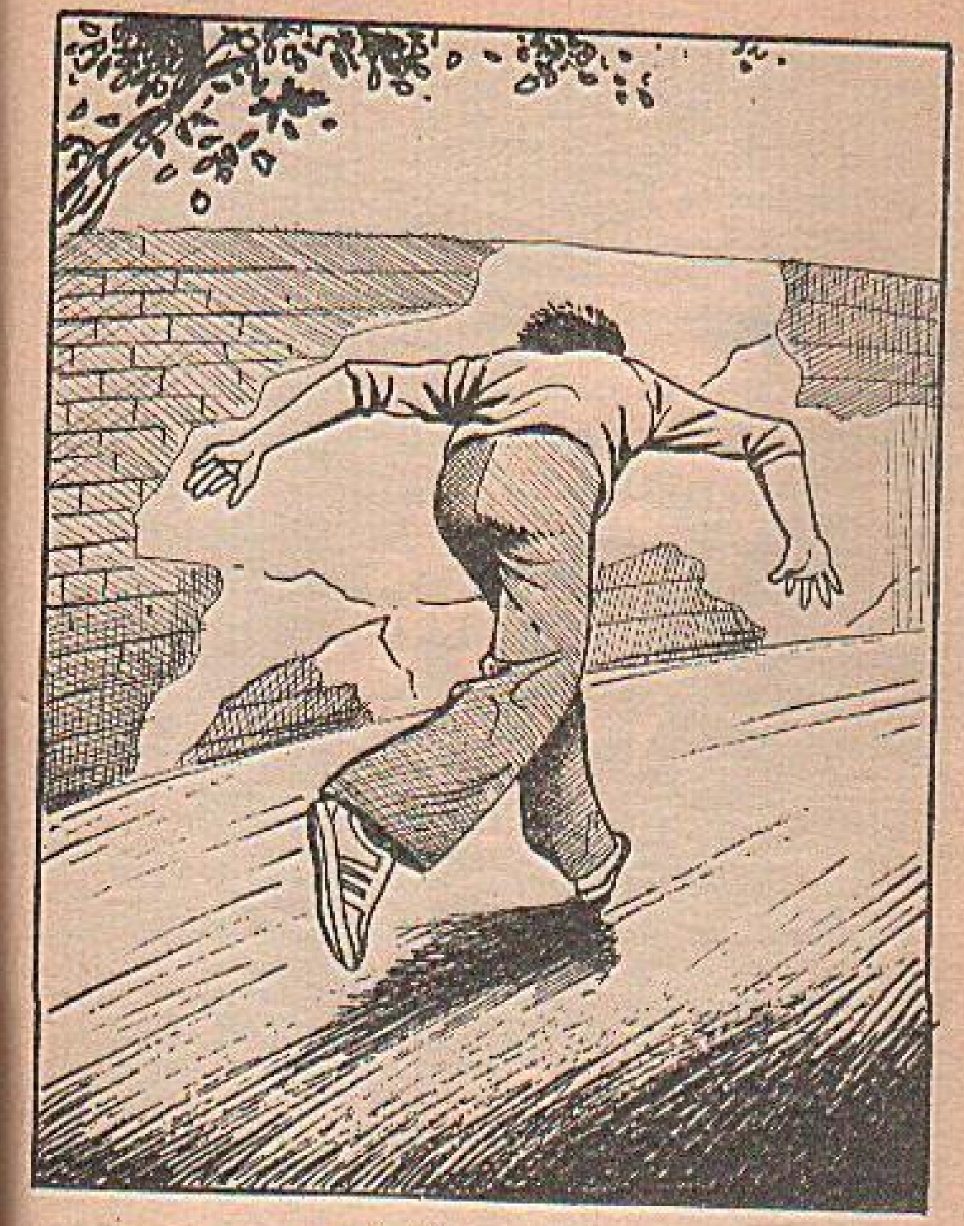
ـ يمكنك سماع نشرة الأخبار أو شيئا من الموسيقى ، بالزر الاحمر ، ويمكنك أن تعرف الوقت واليوم والشهر بالزر الاسود ، أما الزر البنفسجي فهذا ما ستعرفه بنفسك !

قلت له أن ينتظر ، لكن ساعي البريد كان قد أختفى ، ركضت خلفه أبحث عنه ، فلم أعثر عليه رغم انه لم يمش الا مسافة قليلة جدا ..

مددت اصبعي الى الزر البنفسجي ، فسمعت صوتا يقول :

ـ مع أجمل تحيات (ساروف) أسطورة (زامرون) الذي لايخطيء أبدا !

رجعت اركض الى البيت ، اقتربت من أبي ـ وكان هو الاخر سعيدا بترقيته الى منصب جديد اكبر



رجعت اركض الى البيت

مني . .

نظر أبي الى وجهي مستغربا وقال :

ـ ماذا اسمع ياطارق ؟

مددت اصبعي ثانية على الزر البنفسجي ، لكن الصوت لم يظهر أبدا ، فعلتها ثالثة ورابعة وخامسة ، لكن الصوت لم يظهر حتى الان الا حين اكون وحدي فقط !